



من بين المشاهدات الأساسية التي جعلتني أربط معرفة الله بالإدراك قبل التفكير، فرض يقول "إن الطفل يؤمن بالله، ويتعرف عليه قبل أن ينطق أصلاً بأى كلمات، بما في ذلك كلمة "الله"، ولعل هذا النوع من الإيمان هو أقرب إلى تسبيح السماوات والأرض والجبال والطير، وكل ما بين السماء والأرض.

المفروض بعد ذلك أن تحافظ التربية على هذه القدرة المعرفية الأولية وتضيف إليها بما يتيح الجدل بين مستويات الوعي، ومن ثم مناهل المعرفة، لكن الذي يحدث أن يحل التفكير المفاهيمي، واللغة المرموزة محل كل ذلك

من أين لي بهذا الفرض، وكيف أربط بينه وبين "إيمان العجائز"، ثم بينه وبين "إيمان العامة"؟

أول ما يعرفه الطفل الحديث الولادة أى موضوع من موضوعات العالم يعرفه من خلال صدمة (أو انفعال) "البهر"، وكلمة البهر هي الترجمة التي الرتصيتها للكلمة بالإنجليزية orientation، وهي التي تظهر في نظرة عينيه، ربما وعمره بعد ساعات أو أيام، فهو يرى وجه أمه (أو أى مثير مكافئ)، تلك النظرة التي لو تأملتها قليلاً لوجدت أنها مزيج من الدهشة والفرحة والرضا والتوجس، هذا رأى تلخيصاً لما شاهدته ووصلنى، هذا التفاعل هو المدخل الأول للمعرفة بصفة عامة، وهو انفعال أو وجدان معرفي أساسي، يظهر قبل أى عاطفة أخرى وهو الأقرب إلى موضوعنا هنا عن الإدراك، وكل معرفة لاحقة هي تكمل هذه المعرفة، والمفروض أنها لا تحل محلها تماماً، أى أنها تتكامل معها لا تلغيها. هذه البداية تؤكد أهمية وأسبقية الإدراك من جهة، وقد تبرر طمأنينتنا ونحن نتكلم عن إيمان الأطفال، بما في ذلك معرفة الله قبل أن يُسمى لهم، ثم بعد أن يسمى لهم، وقبل أن نحبس اللفظ فيما لا نعرف تحديداً، مدعين أننا نبسّط الأمور لهم.

لم أكن أعرف أن هذا الفرض كامن في إدراكي وأنا أكتب أراجيز للأطفال، بناء على طلب إين (أحد تلاميذي) هو الدكتور أوسم وصفى، كمقدمة لكتابه للأطفال، جاء اكتشافى لهذا الفرض دون قصد مسبق، ولم أنتبه إلى علاقة الدهشة بالإدراك بالذات، قبل التفكير والفهم، ومن ثم علاقتها بالمعرفة الكلية إلى الله، إلا وأنا أقلب فى أوراقى الآن.

قبل أن اعرض الأرجوزة، (التي أعتبرها الآن قصيدة)، وقبل أن افسدها بشرحها بما يرتبط بموضوع الآن، أريد أن أقر جازماً أن أياً من هذا التنظير الذى نندارسه معاً الآن لم يكن فى مقدمة وعيى إطلاقاً، ثم أضيف أننى وددت أن أعرض القصيدة الأرجوزة دون تعقيب لتصل كيفما تصل، ليوحي كل من يتلقاها بنفسه عن علاقة الدهشة بمعرفة الله سبحانه، خاصة عند الأطفال، (يا حبذا أمكنه استرجاع بعض ذلك) خاصة وهم يشخصون ذويهم الكبار الذين تتازلوا عن الإدراك لحساب الفهم أو العقل أو التفكير المنطق

تقول القصيدة/الأرجوزة (وهى حوار بين طفلين، ربما أخوين) وعنوانها "الدهشة"، وقد وجدتني فى مرحلة ما من مراجعاتي، لا أذكر متى بالضبط، أضفت للعنوان "طريق إلى الله":

الدهشة: طريق إلى الله!

\* شفت يابنى البرقانة

— شفتها

من بين المشاهدات الأساسية التي جعلتني أربط معرفة الله بالإدراك قبل التفكير، فرض يقول "إن الطفل يؤمن بالله، ويتعرف عليه قبل أن ينطق أصلاً بأى كلمات، بما في ذلك كلمة "الله" ذلك

لعل هذا النوع من الإيمان هو أقرب إلى تسبيح السماوات والأرض والجبال والطير، وكل ما بين السماء والأرض

لم أنتبه إلى علاقة الدهشة بالإدراك بالذات، قبل التفكير والفهم، ومن ثم علاقتها بالمعرفة الكلية إلى الله، إلا وأنا أقلب فى أوراقى

- \* بس دى مش برتقانة  
— أيوه عارف.  
\* تبقى إيه؟  
— تبقى هيّه البرتقانة  
\* يعنى إيه؟  
— يعنى هيّه زى دكهه، بس لأ: مش زى دكهه.  
\* ما انا عارف، بس قول لى: يعنى إيه؟  
— يعنى تسكت.  
\* طب سكت.  
— إنت ساكت وانت عارف! ولا خايف إنى شايف؟  
\* ما انت عارف إن خوفنا مالجديد، هوّا بيقرّب لنا الحاجة البعيد  
— قوم تشوفها ازاي بقى؟  
\* قوم أشوفها جوا منى، بس برضه بره عنى.  
— يعنى إيه؟  
\* يعنى اشوفها كل مرة زى ما أكون باختراعها  
— يعنى إيه؟  
\* جرى إيه!!! هوّا انا "بابا" قُصادك؟  
— هوّا بابا بيعمل إيه؟  
\* بابا بيجابو عليّا قبل ما أسأل أى حاجة.  
— يعنى إيه؟  
\* لسّه برضه تقوللى تانى "يعنى إيه!!"  
— تيجى يابنى نقول لبابا "بندھش" كدا زينا  
\* لأ يا عم  
— لأه ليه؟  
\* بابا لو إنه "اندھش" حايطب "ساكت"  
— يانهار اسود  
\* لأ، ولسته....  
— لسّه إيه؟  
\* لأ،.. خلاص.  
— ما خلاصشى لسّه.  
\* أيوه فعلا، طول ما إحنا "بندھش" "ما خلاصشى لسّه"،  
— يا حلاوة.  
\* يا حلاوة لو بقوا كدا زينا !!  
— هما مين؟  
\* هما كل الخوافين  
— يعنى مين؟  
\* إللى "بيجاوبوا" بدال ما يشوفوا إحنا شفنا إيه  
— وانت عايز منهم إيه؟  
\* يعنى لو سمحوا كدا كام حبة نُونُو، كنا تكبر زى خلقه ربنا  
— آه صحيح، يبقى ممكن إتنا... ..، ولا بلاش  
\* خفت ليه؟  
— أصل انا كنت حاقول: كنا ممكن إتنا نشوف ربنا، قصدى يعنى نحبه جدا.

\* يا حلاوة لو بقوا كدا  
زينا !!  
- هما مين؟  
\* هما كل الخوافين  
- يعنى مين؟  
\* إلك "بيجاوبوا"  
يدال ما يشوفوا إحنا  
شفنا إيه

الكلمات الشارحة قد  
تفسد ما يصل إللك  
الطفل دون شرح

هل الدهشة هى فعلا  
انفعال معرفك (أو  
قل: معرفة وجدانية)

الفرق بين الخوف  
المعرفك المصاحب  
لدهشة عند الأطفال،  
وخوف الكبار من  
مغامرة طرق باب  
الغموض وتحمل مسئولية  
السؤال بلا جواب  
(الغيب)

